

محاضرة مفرغة بعنوان

وصح إمامنا

وأثره في الدعوة إلى الله

فضيلة الشيخ

الإمام عبد الكريم الحارثي



بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمدهُ ونستعينهُ ونستغفرهُ ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهديه الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله اللهم صلي وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين أما بعد:

السَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته مرحبًا بالأخوة في إذاعة طلاب العلم الشرعي هذه محاضرة كما أُعلن عنها عن وضوح منهج الدعوة إلى الله عز وجل وأثره على الناس

أقول مستعينًا بالله تعالى إن الدعوة إلى الله تعالى من أفضل الأعمال وأعظم القربات وأجل الطاعات لأنها المهمة التي بعث الله بها صفوة خلقه عليهم الصلاة والسلام أنبيائه ورسله بعثهم للقيام بها ثم جعلها الله تعالى شعارًا لأتباعهم ووعد القائمين بها أجرًا عظيمًا وثوابًا جزيلاً في الدنيا والآخرة ولقد عرّف السلف الصالح رحمهم الله تعالى عليهم منزلة هذه الدعوة وعرفوا فضلها فاهتموا بها وقاموا بها خير قيام فسعدوا بفضل الله تعالى سعدوا ونالوا العزة، والشرف، والرفعة، والتمكين في الأرض وسعد بهم أيضًا خلق كثير في مشارق الأرض ومغاربها فهذه الدعوة إلى الله تعالى علي بصيرة هي منهج الانبياء عليهم الصلاة والسلام ومنهج النبي صلي الله عليه وسلم ومنهج أصحابه رضي الله عنهم وأرضاهم وسأحدثكم اليوم في هذا الموضوع عبر العناصر التالية:

أولاً: حكم الدعوة إلى الله تعالى.

ثانياً: فضل الدعوة إلى الله تعالى.

ثالثاً: كيف يتحقق وضوح المنهج في الدعوة إلى الله؟

رابعاً: ما هي الآثار والثمرات المترتبة على وضوح هذا المنهج في الدعوة إلى الله تعالى؟

فأما حكمُ الدَّعوة إلى الله فإنها فريضةٌ من فرائض الله أو واجبٌ من الواجبات التي أوَّلى الله عليه أوَّله على عباده ومعلومٌ أن الله عز وجل يحبُّ من عبده أن يتقرب إليه بما افترضه عليه وأوجبه فأحب شيءٌ إلى الله هو ما افترضه الله أحب شيءٍ يتقربُ به العبدُ إلى الله هو فرائضه تعالى كما جاء في الحديث القدسي: "وما تقرب إلي عبدي بشيءٍ أحبَّ إليَّ مما افترضه عليه".

قال الحافظ بن حجر رحمه الله: "ويستفادُ منه أن أداء الفرائض أحبُّ الأعمالِ إلى الله وكون الدعوة إلى الله تعالى واجبةً أو فريضةً على عباده هذا لا إشكال فيه لكن العلماء قد اختلفوا هل هي واجبةٌ وجوباً عينياً أو واجبةٌ وجوباً كفائياً؟ فذهب بعضُ العلماء إلى أن الدعوة إلى الله واجبةٌ وجوباً عينياً على المستطيع ومن هؤلاء بن حزم، وابن كثير رحمهم الله تعالى وذهب الجمهور إلى أنها واجبةٌ وجوباً كفائياً إذا قام بها من يكفي سقط الإثم عن الباقيين وإن تركوها أثموا جميعاً وهذا القول هو الذي عليه أكثر أهل العلم وهو الأرجح لكن يُقال والله أعلم أنها تتعين وتجب في أحوال في حال تعين السلطان من يقوم بها، وفي حال انحصار القدرة على أشخاص معينين.

قال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله: "ويسيرُ فرضُ عين على القادر الذي لم يقوم به غيره يعني لا يوجد في هذه البلد غيره أو غيرهم يقوموا بهذه الدعوة فيتعين عليهم القيام بها حتى تحصل الكفاية، ويلحق بذلك ما إذا تفرّد الشخص بالعلم عن غيره في هذا البلد، وكذلك يتعين أو تتعين الدّعوة عند تغيّر الأحوال قال الشيخ ابن باز رحمه الله: "كحالنا اليوم تكون الدّعوة فرضً عين على كل واحد بحسب طاقته". إذا الدّعوة إلى الله واجبة على ما ذكرنا لكم من أن الجمهور على أن وجوبها وجوباً كفائياً هذا إذا قام بها من يكفي سقط الإثم عن الباقيين أو الآخرين لكن كما قال الشيخ ابن باز رحمه الله أن هذا العصر وهذا الزمن الظاهر أن الدّعوة واجبةٌ وجوباً عينياً والله أعلم.

أمّا فضل الدّعوة إلى الله فعظيمٌ وكبير ومما يدل على فضلها وشرف منزلة الدّعاة إلى الله أنها وظيفة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كما قال تعالى: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ". يقول الشيخ السّعدي رحمه الله: "فكل الرّسل أي زبدة رسالتهم فكل الرّسل زبدة رسالتهم وأصلها الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له وبيان أنه الإله الحقّ المعبود وأن عبادة ما سواه باطلة". انتهى

ولا شك أن هذه المهمة أو أن المهمة التي أمر الله بها أنبياءه ورسله عليهم الصّلاة والسلام هي أفضل المهام وأشرفها وأعلاها فالمتبع لهم في الدّعوة له نصيبٌ من هذا الشرف والفضل جعلني الله وإياكم ممن ينالوا نصيباً وافراً من هذا الفضل والشرف ومما يدل على فضل الدّعوة أيضاً أن الله عزوجل أعلى منزلة الدّعاة إلى دينه

فجعلهم عنده من أحسن الناس قولاً أو هم أحسن الناس قولاً كما قال تعالى: "وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ".

نقل الحافظ بن كثير رحمه الله عن الحسن البصري رحمه الله قوله: "هذا حبيبُ الله هذا وليُّ الله هذا صفوةُ الله هذا خيرةُ الله هذا أحبُّ أهل الأرض إلى الله أجاب الله في دعوته ودعا الناس إلى ما أجاب فيه من دعوته وعمل صالحاً في دعوته". انتهى

وقال العلامة الشوكاني رحمه الله: "فلا شيء أحسنَ منه ولا أوضح من طريقته ولا أكثر من عمله".

ويقول العلامة السعدي أيضاً رحمه الله: "هذا استفهامٌ بمعنى النفي المتقرر أي لا أحد أحسن قولاً أي كلاماً وطريقةً وحالةً ممن دعا إلى الله بتعليم الجاهلين، ووعظ الغافلين، والمعرضين، ومجادلة المبطلين". إلى آخر كلامه رحمه الله.

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: "وهذا من أفضل الأعمال، وأعظمها نفعا للعبد في الدنيا والآخرة".

وقال أيضاً: "عن الدعوة إنها أشرف مقامات العبد، وأجلّها، وأفضلها".

ومما يدل على فضل الدعوة أيضاً إلى الله ومنزلتها العالية أن الله تعالى جعلها شعاراً لأتباع أنبياءه جعلها شعاراً لأتباع النبي صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى: "قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ".

قال ابن القيم رحمه الله: "أمره سبحانه أي أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يخبر أن سبيله الدعوة إلى الله فمن دعا إلى الله تعالى فهو على سبيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بصيرة وهو من أتباعه".

وقال أيضاً: "لا يكون من أتباعه حقاً؛ إلا من دعا إلى الله على بصيرة كما كان متبوعه صلى الله عليه وسلم فهؤلاء خلفاء الرسل حقاً، وورثتهم دون الناس، وأولوا العلم الذين قاموا بما جاءوا به علماً وعملاً وهدايةً، وارشاداً، وصبراً، وجاهداً". انتهى كلامه رحمه الله

ومما يدل على فضلها أنها سببٌ لخيرية هذه الأمة كما قال تعالى: "كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ.." قال ابن كثير رحمه الله: "فمن اتصف من هذه الأمة بهذه

الصفات دخل معهم في هذا الثناء عليهم والمدح لهم". ثم قال رحمه الله أيضًا: "قال قتادة: بلغنا أن عمر بن الخطاب قال: من سره أن يكون من تلك الأمة فليؤدي شرطاً لله فيها ومن لم يتصف بذلك أشبه أهل الكتاب الذين ذمهم الله بقوله: كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ. انتهى ما ذكره الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى.

وقد أخرج البخاري رحمه الله في صحيحه حديث أبي هريرة رضي الله عنه في تفسير هذه الآية أنه قال: "عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، قَالَ: خَيْرَ النَّاسِ لِلنَّاسِ تَأْتُونَ بِهِمْ فِي السَّلَاسِلِ فِي أَغْنَاقِهِمْ، حَتَّى يَدْخُلُوا فِي الْإِسْلَامِ".

قال الحافظ بن حجر رحمه الله: "وإنما كان ذلك لكونهم سبباً في إسلامهم".

ومما يدل على فضل الدعوة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم بالنصرة لمن بلغ قوله لغيره نضر الله امرأاً.. الحديث

ودعاه أيضاً لهم بالرحمة "رحم الله امرأً سمع مني حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره". الحديث

ومما يدل على فضلها استمرار ثواب الداعي بعد موته استمرار الثواب للدعاة إلى الله بعد موتهم ويدل لذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ".

وقوله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ ... هَدَى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ". الحديث، وهذا يشمل القول والفعل والكتابة.

ومما يدل على ذلك أيضاً قول النبي صلى الله عليه وسلم: "فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ".

وقوله صلى الله عليه وسلم: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث أو إلا من ثلاثة إلا من صدقة جارية أو علماً ينتفع به أو ولياً صالح يدعو له وقوله صلى الله عليه وسلم: "من سن في الإسلام سنة حسنة فعمل بها كتب له مثل أجر من عمل بها.. الحديث.

فمن سن سنة حسنة فله أجرها ما عُمِلَ بها في حياته وبعد مماته جعلنا الله وإياكم من الدعاة إلى الله وإن مما يدل على فضل الدعوة إلى الله أنها نوعٌ من أنواع الإحسان والله تعالى يحب المحسنين كما قال تعالى: "وأحسنوا إن الله يحبُّ المحسنين".

ومن أعظم الإحسان إلى عباد الله إنقاذهم من الكفر والظلام إلى الهداية والإسلام ومما يدل على فضلها أنها نوعٌ من أنواع الجهاد.

قال ابن القيم رحمه الله: "وتبليغُ سنةٍ إلى الأمة أفضلُ من تبليغِ السَّهامِ إلى نخور العدو لأن تبليغ السَّهام يفعلُه كثيرٌ من الناس، وأما تبليغُ السُّنن فلا يقومُ به إلا ورثة الأنبياء وخلفاؤهم في أممهم جعلنا الله تعالى منهم بمنه وكرمه". انتهى كلامه رحمه الله.

ونقول آمين آمين آمين جعلنا الله منهم.

وفي قوله تعالى وجاهدكم به جهادا كبيرا يقول ابن عباس رضى الله عنهما: "بالقرآن يعني جاهدكم بالقرآن جهادًا كبيرًا وكان هذا قبل الأمر بالجهاد وكذا نقل الحافظ ابن كثير والإمام البغوي رحمهم الله تعالى هذا المعنى في قوله تعالى وجاهدكم به جهادًا كبيرًا أي بالقرآن وهذه دلالة وإشارة إلى أن الدعوة إلى الله تعليم الناس الكتاب والسنة من الجهاد في سبيل الله هذه بعض فضائل الدعوة التي ينبغي للمسلم أن يتأملها ويحرص على أن يكون من أهلها الفائزين بها.

أما الموضوع الثالث: فهو كيف يتحقق وضوح هذا المنهج في الدعوة إلى الله تعالى وأقول مستعينًا بالله يتحقق وضوح المنهج في الدعوة لعدة أمور

أولاً: اختيار المنهج الصحيح للدعوة أعني منهج الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأساس هذا المنهج الدعوة إلى توحيد الله فعلى الداعية أن يهتم أول ما يهتم به أن يهتم بالعقيدة الصحيحة لتصحيح عقيدة الناس هذا أول ما يجب أن يهتم به الداعية وهذا يحتم على الداعية ضرورة الالتزام بالمنهج الصحيح وألا يستعجل النتائج وألا يخرج عن هذا المنهج بحجة صعوبته أو طوله أو عدم قبول الناس له أو بحجة الانسياق وراء العواطف فإن دعوة النبي صلي الله عليه وسلم واضحة وبَيِّنَة.

ومن تلك الأمور أيضًا ضرورة الاعتماد على المصادر الصحيحة فيجبُ على الدّاعية إلى الله أن يختار المنهج والوسائل والأساليب الدّعوية من مصادرها الصحيحة لأن الدّعوة إلى الله هي الطريقُ إلى هداية التّاس إلى الحق فلا بُدّ للدّاعية أن يسير على ذلك على هاديٍ من القرآن والسّنة حتى يضمن الوُصولَ وَيَسْلَمَ من الضّلال وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "تركتم فيكم مالم تضلّوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله وسّنة نبيه صلى الله عليه وسلم، ولأن هذا المنهج الدّعوي وهذه الوسائل والأساليب هي أحكام شرعية نصّ عليها القرآن وبَيّنتها السّنة وطبقها الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام وصارَ عليها سلف هذه الأمّة الصالحين فأثمرت وأينعت فعلى الدّاعية أن يعتمد في دعوته وفقّ تلك المصادر ولا يَحِيدَ عنها فيضَلّ.

والأمر الثالث التحذير من الدّعوات والمناهج المخالفة لمنهج الأنبياء والرّسل عليهم الصّلاة والسّلام؛ فلا بد أن تكون هذه الدّعوة واضحةً في المقصد والهدف واضحةً في الوسيلة واضحةً في الأسلوب لا أن تكون كاتلك الدّعوات الضّالة الدّعوات السياسية أو الدّعوات الخاصّة التي يقصد أصحابها من ورائها أغراضًا وأهدافًا تخصّهم وكذلك لا تكونُ كالدّعوات إلى التنظيمات والأحزاب أو الدّعوات إلى التي تعتمد على القصص والمنامات والخُرافات كما يفعل الصّوفية أو الدّعوة إلى القومية أو الديمقراطية ونحو ذلك.

فدعوة الإسلام الدّعوة إلى الله عز وجل على بصيرة واضحة بيّنها النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه وصاروا عليها ولا تكونُ الدّعوة واضحة أيضًا وجليلة إلا بالعناية العظيمة بكتاب الله حفظًا وفهمًا وعملاً فإنه المصدر الأول من مصادر الدّعوة إلى الله ومنه يستخلص الداعية منهج دعوته فقد ذكر الله لنا قصص الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام وما جرى لهم مع أمّهم وكيف كانت دعوتهم وعلى رأس هؤلاء الأنبياء نبينا صلى الله عليه وسلم فقد أمره ربه أن يقول لا تبعه قل هذه سبيلي ادعوا إلى الله علي بصيره انا ومن اتبعني وما انا من المشركين.

وقد سبق معنا كلام ابن القيم رحمه الله أنه قال: "لا يكون من اتباعه حقًا إلا من دعا إلى الله على بصيرة فلا بد أن تكون الدّعوة على بصيرة عن علمٍ ومعرفةٍ للمدّعويين وأحوالهم لا بد أن تكون عن علم لتكون دعوة واضحة جليّة وكذلك لكي تكون الدّعوة واضحة لا بد من العناية بسّنة النبي صلى الله عليه وسلم لا بد من العناية بالسّنة عموماً وبالسّنة التي تضاد البدعة خصوصًا فما أكثر المناهج المبتدعة فإذا عرف الدّاعية السّنة تَكشّف له بإذن الله وانكشف له المنهج الصحيح من المناهج المبتدعة إذا عرف السّنة واتبعها ولزمها عرف

منهج الدعوة الصحيح وانكشف له وظهر ودله ذلك على مواقع الخطأ في المناهج الدعوية الضالة الزائفة فعلى الداعية أن يهتم بالسُّنة فيحفظ قدرًا كبيرًا منها ويدرسُ فقها وليكن عنده تمييزٌ للحديث الصحيح من الضعيف حتى لا يدَّعوا الناس إلا عن بصيرة وينقلَ لهم الصحيح لا أن ينقلَ لهم ما ضَعَفَ من الأحاديث وكذلك حتى تكون الدعوة واضحة جلية على الداعية أن يتعرف على سيرة خير الدعاة وأفضلهم صلوات الله وسلامه عليه فمن هذه السيرة يصطفي الداعية منهج دعوته فحينما ينظرُ الداعية الصادق إلى سيرة هذا النبي الكريم الرؤف الرحيم صلوات الله وسلامه عليه حينما ينظر في جانب دعوته يجد أن دعوته عامة في المكان والزمان والحال فلن تكون دعوته موجةً لصنفٍ من الناس دون آخر بل كان يدعوا النَّاسَ جميعًا من أحبه ومن أبغضه ومن استمع إليه ومن أعرض عنه وكذلك لم يُخصَّ دعوته بمكان دون غيره كما يفعل بعض النَّاس فيدعون في الخلوات بعيدًا عن أنظار النَّاس بل كان يدعوا في المسجد ودعوته ظاهرة واضحة بينة يدعو في السفر والحضر والسوق ولم يكن يدعوا كما يقال في الظلام دعوةً سريةً خاصة يُأججُ بها النَّاس ويحملهم على الخروج على الحاكم والسُّلطان كما يفعل بعضُ الأحزاب والجماعات اليوم ولم يكن يدعوا لنفسه يغضب لها ويوالي عليها بل إنه يغضب لله فمن دعا الناس وغضب إذا لم يستجيبوا غضب لنفسه من أن يقبلوا دعوته فإن في دعوته خلل لا يجب عليه أن يدعوا الناس وأما الهداية هداية التوفيق والإلهام ببيد الله تبارك وتعالى فقد لا يرى أثر دعوته اليوم لكن في المستقبل قد يرى أثرها وقد يظهر أثرها بعد موته فلا يستعجل حال دعوته بل عليه أن يدعوا الناس على بصيرة وبرفقٍ ولينٍ كما أمر الله تعالى نبيه ولو كنت فظًا غليظَ القلب لنفضوا من حولك فلا بد من الرفق في الدعوة ولا بد من الرفق بالناس والحرص كلَّ الحرص على هدايتهم وكذلك مما يجعلُ الدعوة واضحة وجليّة التعرف على سيرة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنهم أعني التعرف على سيرتهم كيف نشروا هذا الدين وكيف بَلَّغُوا وبَلَّغُوا به أَقاصي الدُّنيا فَتَحُوا البلاد بقلوبهم قبل سيوفهم فرضى الله عنهم وأرضاهم فمن سار على هذا النهج وتتبع سيرة الصحابة رضى الله عنهم في دعوتهم أفلح ونجح وكانت دعوته واضحة جلية لها التأثير الكبير على الناس لأنهم استقوا دعوتهم من منهج النبي صلى الله عليه وسلم ولا بد أن تكون أيضًا هذه الدعوة واضحة في الاستدلال والهدف والغاية لا كما يهدف إليه بعض أصحاب الدَّعوات السَّياسية كالإخوان ومن شاكلهم ويدعون في الخفاء وفي السر ولا بد أن تكون واضحة أيضًا في الطرح والأسلوب لا غموض فيها وتكون أيضًا واضحة في الوسائل فلا بد في هذه الدَّعوة أن تكون واضحة بعيدًا عن المناهج الخفية التي يديرها أناس في الظَّلام ويرسمون لها الخطط بعيدًا عن الأنظار كما قال عمر بن

عبد العزيز رحمه الله: " إذا رأيت أناس يتناجون دون العامة فاعلم أنهم على تأسيس الضلالة وقد رأينا ممن يزعم أنه يدعو إلى الله يخرج بأبناء المسلمين إلى الخلاء ويتعد بهم في حال الظلام ويقول ندعوا إلى الله فليست هذه دعوة النبي صلى الله عليه وسلم ولا دعوة الصحابة رضي الله عنهم المهم أن الدعوة إذا كانت واضحة وضوحاً جلياً وعلى سيرة وهدى النبي صلى الله عليه وسلم وعلى طريقة أصحابه رضي الله عنهم فإن هذه الدعوة ستثمر الثمرات العظيمة اليانعة وسيكون لها أثراً كبيراً في واقع الناس، ولعلي أُشير وهي النقطة الرابعة إلى هذه الآثار العظيمة التي تتحقق إذا وضحت الدعوة إلى الله عز وجل: فمن تلك الآثار أن هذه الدعوة سببٌ لرحمة الله لعباده لأن فيها أتباعٌ لمنهج النبي صلى الله عليه وسلم وسير على طريقه وطريقة أتباعه ومن الثمرات أيضاً أنها سببٌ للفلاح في الدنيا والآخرة سببٌ لفلاح الداعية إلى الله عز وجل لأنه يدعو على بصيرة على منهج النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فهي سببٌ للفلاح في الدنيا والآخرة وكذلك سببٌ لفلاح المدعويين لأنها واضحة جلية تدلهم على الحق وتدلهم على طريق الجنة ومن الآثار والثمرات أيضاً أنها سببٌ للثبات على الدين والنجاة من الفتن لأن لزوم منهج النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في الدعوة هو السبيل الذي تكون به النجاة والسبيل الذي يحصل به الثبات كما قال صلى الله عليه وسلم عن الفرقة الناجية بعد أن ذكر أن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة قالوا من يا رسول الله - يعني من هذه الواحدة الناجية - قال صلى الله عليه وسلم من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي فمن لزم دعوة النبي صلى الله عليه وسلم ودعوة أصحابه فإن ذلك سببٌ للثبات، والنجاة من الفتن ومن ثمراتها: أنها سببٌ لنصر هذه الأمة فمتى نصرت الأمة دين الله بالدعوة إليه وجهاد الأعداء بالدعوة والسيف نصرها الله عز وجل كما قال تعالى: "إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم". قال الشيخ السعدي رحمه الله: "هذا أمرٌ من الله تعالى للمؤمنين أن ينصروا الله بالقيام بدينه والدعوة إليه، وجهاد أعدائه وأن يقصدوا بذلك وجه الله فإنهم إذا فعلوا ذلك نصرهم الله وثبت أقدامهم". انتهى

وهذا هو ما حصل بعينه لسلف هذه الأمة هذا ما حصل لسلف هذه الأمة الصالحين حيث نصرهم الله وأذل أعدائهم لما نصروا دين ربهم قال القاضي أبو السعود رحمه الله: "ولقد أنجز الله عز سلطانه وعده حيث سلط المهاجرين والأنصار على صناديد العرب، وأكاسرة العجم، وقياصرة الروم، وأورثهم أرضهم وديارهم". انتهى كلامه رحمه الله.

وهكذا من نصر دين الله وسلك طريق أولئك السلف الصالح واقتفى أثرهم فإن الله تعالى يقول وهو أصدق القائلين: "وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ".

ويقول تعالى: "وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا".

ويقول: "ولينصرن الله من ينصره". أي والله لينصرن الله من ينصره كما ذكر ذلك الإمام الشوكاني رحمه الله في تفسيره ووعده الله تعالى متحقق لا محالة لا شك فيه متحقق دون قسم فكيف إذا أكد في هذه الآية بعدة مؤكدات؟ أوكد باللام، وبالقسم، والواو فإيا له من وعدٍ عظيم وكبير من ربٍ عظيم! ولهذا وعد الله عز وجل طائفة من هذه الأمة بالنصر والتمكين في الأرض مهما أجلب عليها أهل الشر والبدع من كل مكان فهم منصورون غالبون لأنهم نصروا دين الله وثبتوا على السنة وعلى ما كان عليه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وما عليه التابعون لهم بإحسان وكذلك من ثمرات الدعوة الواضحة أنها سببٌ لانتشار دعوة الله في الأرض وسببٌ لقبولها والإقبال عليها لأنها دعوةٌ للحق دعوةٌ موافقةٌ للفطرة التي فطر الله الناس عليها فلو أن الكفار بلغتهم هذه الدعوة صافية نقية لآتت أكلها وأثمرت ولدخل ناس كثير في دين الله أفواجًا لكن أصحاب الدعوات الضالة قد أضلوا الناس بدعواتهم المخالفة لمنهج النبي صلى الله عليه وسلم ومنهج أصحابه قال الشيخ المحدث الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة: "واعتقاد أن كثير من الكفار لو أُتيح لهم الاطلاع على الأصول والعقائد والعبادات التي جاء بها الإسلام لسارعوا إلى الدخول فيه أفواجًا كما وقع ذلك في أول الأمر".

فليت بعض الدول الإسلامية تُرسل إلى بلاد الغرب من يدعو إلى الإسلام ممن هو على علم به على حقيقته وعلى معرفة بما ألصق به من الخرافات والبدع والافتراءات ليُحسن عرضه على المدعويين إليه وذلك يستدعي أن يكون على علم بالكتاب والسنة الصحيحة". انتهى

وأقول: نحمد الله تعالى فله الحمد والمِنَّة أن هذه البلاد قامت أعني - بلاد الحرمين الشريفين - بلاد التوحيد والسنة هذه البلاد المباركة قامت على تحكيم الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح وحرصت على إرسال الدعوة والمعلمين والمصلحين إلى بلاد العالم لنشر دين الله كذلك فعلت بعض دول الإسلام فجزاهم الله عنا وعن الإسلام خير الجزاء؛ لكن أهل الأهواء وأصحاب المناهج المبتدعة لا كثرتهم الله قد أضلوا الناس وصدّوهم عن دين الله وشرعه بتشويه صورة الإسلام الظاهرة النقية. والله المستعان

ومن ثمرات هذه الدّعوة الواضحة: أنها تختصرُ طريق الدّعوة إلى الله لأنها واضحة ولأنها دعوة تدعو إلى تحقيق الفطرة وكذلك هي سببٌ للفلاح وسببٌ لإنقاذ هؤلاء الناس من النارِ والخسرانِ فكل الناس في هلاك وخسارة مطلقة أو مقيدة إلا من جَمَعَ خِصالٍ أربع كما أخبر الله تعالى في سورة العصر قال تعالى: " وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ". فهؤلاء قد كَمَلُوا أنفسهم بالإيمان والعملِ الصَّالح ثم سعوا إلى تكميل غيرهم وإنقاذهم من الخسران بالتواصي بالحق والتواصي بالصبر وفي عطف التواصي بالحق على عملِ الصَّالحات فائدة وهو التنبيه على أن من العمل الصالح المأمور به إرشاد الناس ودعوتهم للحق لا كما يقول البعض إن اهتديت فلا على من غيري على نفسي ولا يضرنني غيري وليس الأمرُ كذلك بل إنك إذا اهتديت، ووفقك الله عز وجل للإيمان والعمل الصَّالح فاحرص على دعوة النَّاس إلى الخيرِ والهدى ولهذا كله فإنه يجب أن يكون منهجُ الدّعوة واضحًا بيننا كي يثمر تلك الثمرات التي سمعناها ومررت معنا.

أَسْأَلُ الله عز وجل أن يجعلني وإياكم من الدّعاة إليه على بصيرةٍ وَفَقَ منهج نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومنهج أصحابه رضي الله عنهم كما أسأله جل وعلا أن يغفرَ لنا ولوالدينا وَلِشِوْخَانَا وذرياتهم والمسلمين إنه ولي ذلك والقادر عليه كما أسأله جل وعلا أن يوفق الدّعاة الصَّادقين المتبعين للنبي صلى الله عليه وسلم في دعوتهم وأن يكثرهم وأن يُيسِّرَ طريقهم وأن يكتبَ لهم الأجرَ والثَّوَابَ الكبير عنده جل وعلا كما أسأله تبارك وتعالى أن يوفق ولايةَ أمرنا لما يحبه ويرضاهُ وأن يجعلهم مفاتيحَ للخيرِ مغاليقَ للشرِّ وأن ينصر بهم أهلَ السُّنة في كل مكان ويقمع بهم على الزيغ والبدعة إن ربي لقوي عزيز؛

اللَّهُمَّ صلى وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين.